عصر دول الطوائف في الاندلس

المدرس المساعد : حسين عبد الله رضيوي
husseeinredh@uomustansiriyah.edu.iq

بعد انتهاء عهد الخلافة في الاندلس بدا عهد الملوك الطوائف في الاندلس رأينا مما سبق من الاحداث التي ذكرت أن الخلافة استمرت تجمع بين السلطتين الزمنية والروحية إلى أن جاء المنصوربن أبي عامر و أبناؤه من بعده فانتزعوا منها السلطة الزمنية على عهد الخليفة الأموي هشام المؤيد ، واستبدوا بالأمر على الخليفة الشرعي، فكان مثلهم في ذلك مثل البويهيين والسلاجقة الذين سيطروا على الخلافة العباسية في بغداد ، ومثل أسرة بدرالجمالي التي سيطرت على الخلافة الفاطمية في القاهرة ولا شك أن هذا الفصل بين السلطتين الزمنية والروحية كان مقدمة لنهاية الخلافة الأموية بالأندلس لا سيما بعد أن طمع عبد الرحمن بن المنصورفي الخلافة نفسها ، وهو أمر خطيرلم يطمع فيه أبوه المنصورولا أخوه عبد الملك المظفر من قبل رغم قوتهما هزا عنيفا ، وعزعلى المضريين أن ينتقل،ولقد هزهذا الحادث الدولة الأموية العرش إلى اليمنيين ، وأن تبتعد الخلافة عن قريش ، فانبعثت العصبية العربية القديمة ، و انتهز الأمويون والمضريون فرصة غياب عبد الرحمن العامري في الشمال وقاموا بحركة قوية فخلعوا هشاما على العرش ، وولوا رجلا من أحفاد الناصروهو محمد بن هشام بن عبد الجباربن عبد الرحمن الناصرولقبوه بالمهدي بالله واعترضوا عبد الرحمن (شنجول) في طريق العودة وقتلوه وبذلك تنتهي الدولة العامرية سنة (399 هـ / 1008 م) والفترة المتبقية من التاريخ الأموي بالأندلس مليئة بالفتن والاضطرابات حيث تصارعت فيها عناصر المجتمع الأندلسي فخربت مدن وهدمت إلى أن أعلن أبو الجزم بن جهورانتهاء الخلافة الأموية سنة (422هـ / 1031 م) بعد عزل آخر خلفائها هشام الثالث المعتد بالله .

وقد ظهرعن سقوط الدولة الأموية أن انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة واستقل كل أمير بناحيته، وأعلن نفسه ملكا عليها فدخلت البلاد بذلك في عصر جديد هو عصر ملوك الطوائف ، ولم تكن هذه القوى متعاونة فيما بينها أو ساعية لتحقيق مصلحة المسلمين ، بل كانت المنافسات والأطماع الشخصية هي السمة السائدة فيما بينها.

تُعتَبر فترة مُلوك الطّوائف واحدةً من أبرز الفَترات التّاريخيّة التي مرّت في تاريخ الأندَلس؛ حيث بدَأت خِلال الرّبع الأوّل من القرن الرّابع الهِجريّ ، وذلك عَقب سقوط دولةِ الأمويّين في الأندلس وذلك لأنّه وبعد سقوط هذه الدّولة بدأ أُمَراء الأندلس ببناء دُوَيلاتهم الخاصّة بهم وعلى الرغم من قِصَر فترة ملوك الطّوائف ، إلّا أنّها كانت غنيّةً، ومُعقّدةً نوعاً ما، وقد جاء ذلك نتيجةً للأطمَاع التي كانت تُسيطر عليهم ، ممّا أدّى إلى خللٍ في بُنيَة الأندلس ، وبالتالي سقوطها في وقتٍ لاحقٍ أبرز المناطق في زمن ملوك الطوائف قُسّمَت الأندلس إلى دويلاتٍ صغيرةٍ ، بعد أن كانت دولةً متّحدةً ، وقد برزت فيها سبعُ مناطقَ مهمّة هي :

منطقة بَني عبّاد ، وبَني جَهُور، وبَنِي زيري، وبَنِي الأفطَس ، وبَنِي ذي النّون ، وبَنِي هود ، وبَنِي عامر، إلى جانب ذلك قُسِّمت هذه المناطق إلى مناطقَ أخرى ، ممّا جعل العدد الإجماليّ للدّويلات داخل أرض الأندلس يزيد على عشرين دويلةً؛ علماً أنَ جزءاً كبيراً من أراضي الأندلس الشماليّة لم يكن بِيَد العَرب والمُسلِمين في هذا السّياق ، تجدر الإشارة إلى أنّ الأحداث التي حدَثت زمنَ ملوك الطّوائف تأثّرت بدولةِ المُرابطين في جزءٍ منها ، وخاصّةً بالقائد المُسلم يوسف بن تشافين الذي لعب دوراً حاسماً في تغيير مسار الأحداث في الأندلس بشكلٍ جذريّ .

ويعد أشهر ملوك الطّوائف على الإطلاق هو المُعتمِد بن عبّاد ، وقد كانت له صفاتٌ إيجابيّةٌ كثيرةٌ فضلاً عن الكثير من الصّفات السلبيّة أيضاً ، فمن ناحية الحُكم كان المعتمِد ذا سيرةٍ حسَنةٍ؛ فقد أحسن إلى رعيّته، وقدّم لهم خدماتٍ جليلةً ، غير أنّه في الوقت ذاته كان غارقاً في شهواته ، وملذّاته ممّا أدّى إلى زوال مُلكه ، هذا وكان مُولَعاً بالأدب ، والشِّعر، وقد خلّد لنا التّاريخ بعض أَشعاره الجميلة من المُلوك المَشهورين أيضاً المُتوكّل بن الأفطس ، والذي لم يَشتهر من الناحيَة السياسيّة ، أو حتّى العسكريّة ، غير أنّه اشتُهر من النّواحي الأدبيّة ، والشعريّة ، وعُرف أيضاً بشجاعته ، وقد حفظ لنا التّاريخ أيضاً بعضاً من أبرز وأهمّ أشعاره، والتي تُنبئ عن حكمةٍ ، وعِلمٍ ، وثقافةٍ كبيرةٍ وهائلةٍ.

فتسابقوا إلى بسط نفوذهم وتوسيع أراضيهم على حساب بعضهم البعض بمختلف الوسائل ، وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات والعشائر المتغايرات ، فلم تتصل لهم في الله يد ، ولا نشأ على التعاضد عزم ، ولا توجه إلى الاستئثار قصد وهكذا كانت علاقاتهم قائمة على التحرز والحذر وبذل الأموال في بناء الحصون والمسارعة في الاستعانة بالممالك النصرانية في طلب الإمداد بالرجال والسلاح للحفاظ على سلطتهم مقابل رضاهم بدفع الجزية وهكذا استغل ملوك النصارى تفرق ملوك الطوائف وفرضوا عليهم الشروط وساوموهم على أراضيهم ، وعملوا على إضعاف هذه الإمارات المتناحرة باستنزاف طاقاتها وثرواتها مما سهل الأمر لملك قشتالة الفونسو السادس من احتلال مدينة طليطلة عام (478 هـ / 1075 م) ، هذه المدينة الحصينة بسبب سياسة الضعف التي اتبعها أميرها يحي القادر بن ذي النون وقد كان لسقوط طليطلة أثر عظيم في نفوس أهل المدن الأندلسية الأخرى ، وهو الحادث الذي استغله المرابطون لإعلان الجهاد المنقذ من الزحف المسيحي ، بعد أن عجز أمراء الطوائف في توحيد صفوفهم في هذه المواجهة ، لأن الفونسو السادس بعد طليطلة هاجم مملكة بني عباد باشبيلية وهي أكبر الممالك الإسلامية وسقوطها معناه سقوط غيرها بسرعة وأدرك المعتمد بن عباد ملكها بالأندلس، الخطر الداهم فقرر الاستعانة بدولة المرابطين .

==========